

المفهوم من التأصيل الغربي إلى التلقي العربي -محمد عابد الجابري نموذجاً-

The concept from western origins to arab reception -Mohamed

Abed Al-Jabiri as an example-

الدكتورة بن كراراز فطيمة

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

Benkraraz.Fatima@univ-oran2.dz

تاريخ النشر: 2025/12/10

تاريخ القبول: 2025/11/27

تاريخ الاستلام: 2025/02/27

ملخص:

يسعى موضوعنا قدر المستطاع أن يروم بطريقته الخاصة إلى تقديم تحليل نظري حول أهمية الإستفادة الواعية من مكاسب العصر الحديث على مختلف الأصعدة والمستويات، وتركز على فهم هذه المكتسبات في سياق الفكر العربي، بإخضاع المفهوم لمنطق الفكر الداخلي، أي بحثه في البنية الاستدلالية التي نشأ فيها والإستعمالات التي تقلب فيها داخل نفس البنية قبل أن يكتسب استقلاليتها ودلالته الكوسمو - معرفية التي تتيح له إجرائية واسعة، مع ضرورة التصريح بحدود المفاهيم المستعملة وبحقول تعريفاتها في الخطاب العربي المعاصر من خلال النموذج "محمد عابد الجابري".

يكشف لنا تحليل إشكالية المفهوم عن مفارقات الفكر العربي المعاصر ومحدوديته أثناء مواجهته لأسئلة السياسة والفكر والفلسفة في العالم المعاصر، وهو الأمر الذي تترتب عنه غربة العربي وغربة فكره داخل فضاء الأزمنة المعاصرة. وكل بحث تظهر إشكالية ترجمة المراجع باللغة الأجنبية، كما أن الآراء تتميز بالصعوبة والغموض واعتقد أن هذا سيفتح إشكاليات كثيرة في نفس الوقت في مجال الدلالة والمفاهيم .

كلمات مفتاحية: المفاهيم، الخطاب النقدي، الفكر العربي، التجديد، الأصل، التبيئة

Abstract:

The present text focuses on analysing and understanding the importance of capitalising on modern developments in Arab thought, delving into the concept of conscious progress and its connotations in the Arab context. It examines how this concept developed and was used

prior to acquiring its own independent connotation, emphasising the need to define and delimit the concepts used in contemporary Arab discourse using Mohamed Abed al-Jabri as a model. The analysis of this issue reveals the limitations of contemporary Arab thought and its paradoxes in politics, philosophy, and global engagement, which leads to the alienation of the Arab individual and his ideas in the present era, and the translation of foreign references poses challenges. The text highlights the difficulty and ambiguity of these views, and raises semantic and conceptual issues.

Keywords: Concept, critical discourse, Arabic thought, renewal, origin, environmentalisation

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن كل مفهوم هو في حقيقة أمره تراكم لمجموعة مضامين، تتحرك وتتغير عن طريق التخلي أو بالإضافة والتطوير وحتى القطيعة، في بعض الأحيان تتطابق أو تختلف إلا أن الأمل يبقى تلك الكلمة المركبة لا تهتز، تخترق الزمان، عابرة التاريخ تعطي لنا تصور أولي يوحي لنا كأننا أمام مجموعة مفاهيم تنشُد الاستمرار والصلابة، لكن ومن أجل التصدي لهزات التطور وضربات القطاعات الإستيمولوجية، وهروباً من الفناء، تأقلمت بالتراكم لا بالتخلي عن الأصل، لذا فكل مفهوم مرتبط بالتربة التأسيسية له، وهو شكل من أشكال الإنعكاسات في العالم وفي العقل، لذا فكل تفكير في المفهوم هو تأمل في الأوضاع التي نعيشها لإستعاب التاريخ الجديد الذي يؤطر الحاضر الكوني وذلك رغم الاستمرارية التاريخية الحافظة لظواهر لا علاقة لها بالمرجعية التاريخية الواقعية والمرجعية النظرية الفلسفية والإجتماعية والسياسية الضابطة والناظمة لمحتوى المفاهيم الجديدة التي نحن مطالبون بمعرفتها.

إن طرح الإشكالية هي التي تسهل عملية تحديد المجال الفكري للمعالجة وتجعل الخطة متمشية مع الإطار النظري المحدد ألا وهي إشكالية المفهوم في الفكر العربي المعاصر، هذه الفكرة الأساسية هي التي سننطلق منها في تناول موضوع المفهوم من التأصيل الغربي إلى التلقي العربي؛ الأصل والتبينة والأزمات الإستيمولوجية التي تكتنف هذه المحاولات والمشاكل الجوهرية التي يحملها في طياته. كما أن نفس الإشكالية - إشكالية المفهوم - قد تسلك طريق آخر في البحث. طريقاً إتخذ وجهة فحص آليات المفهوم والعقل التراثي ومحاولة حصرها بتعيينها للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرار حضورها في فكرنا المعاصر.

إشكالية المفهوم في الفكر العربي المعاصر مجال واسع لاختلاف الرأي والاجتهاد فيه ولعل من جملة الأسئلة التي تتبادر إلى أذهاننا والتي تجدر بنا طرحها للتقرب من الموضوع أكثر هي كمايلي:

- ما هي أسباب اختلاف القراءات للمفهوم العربي الإسلامي القديم حتى تحول إلى عائق إستيمولوجي أمام الاستعمالات المعاصرة؟
- ما هي أسباب عدم استيعاب المفهوم المنتهي إلى الفكر الغربي المعاصر، حتى أصبح يساهم في تعميق الهوة بين التصورين؟
- هل من الممكن أن نصيغ مفهوماً نابعا من مرجعيتنا داخل فضاء فكري تسيطر عليه المرجعيات المعرفية الغربية؟

ومن هنا نستخلص أنا هناك جانبان في الإشكالية:

أ. جانب إيدولوجي يعكس الوضع الفكري للمجتمعات العربية

ب. جانب معرفي يعكس الإزدواجية المعرفية التي تفرضها علينا

مرحلة التطور التي نجتازها.

يعتمد هذا المقال على المنهج التحليلي لجهود "د. محمد عابد الجابري" مع فتح إمكانية الإعتماد على تصورات غربية لإشكالية المفهوم والكيفية التي استخدمها في التأسيس والتطور والتعامل للوصول إلى المساهمات العربية في محاولة تبينة المفهوم، هذا يفرض علينا تناول الإشكالية من منظور موضوعاتي لا من خلال دراسة تاريخية بحتة. ومن أجل تحليل الإشكال الذي طرحناه ارتأينا تقسيم المقال إلى ثلاثة نقاط على النحو التالي:

- أصل المفاهيم عند محمد عابد الجابري
- تبينة المفاهيم عند الجابري
- الشكل التخطيطي للمفاهيم عند الجابري

1. أصل المفاهيم عند الجابري:

إنّ دراسة مفاهيم وأدوات الجابري المنهجية ومرجعياته المعرفية تقودنا حتماً إلى تحليل الإشكاليات التي تشكل بنية فكره ومشروعه، والمفاهيم التي يستعيرها أو يطورها، أو حتى يبدعها أحياناً لدفع البحث والتفكير، تعتبر تلك المفاهيم المفتاح الأساسي لطرق مختلف الإشكاليات والأفكار والقضايا التي تناولها، ولا شك أن المنهج والمفهوم، عند " الجابري"، هما الأدوات الإجرائية التي تفي بالغرض على حد تعبيره، والتي يستمدّها انطلاقاً من مرجعية معرفية ثقافية مزدوجة: التراث العربي الإسلامي والفكر والثقافة الغربية

المعاصرة، الفرنسية منها على الخصوص مما يجعله يحشد كمّاً هائلاً من المفاهيم التي تشكل صلب المشروع.

إن الجهاز المفاهيمي والمنهجي الذي يسرقه الجابري وهو الإقتباس دون اسناد كاف لبعض المفاهيم والأطر المنهجية من الفكر الغربي خاصة في مشروعه "نقد العقل العربي"، هذا الإتهام أثير بشكل بارز من قبل المفكر "جورج طرابيشي" في سلسلة "نقد نقد العقل العربي"، وقد أشار طرابيشي إلى أن الجابري استخدم مفاهيم مثل "الإبستيمي" و"الخطاب" و"السلطة" دون الإشارة الكافية إلى أصولها الفوكوية. ولعل ذلك لا يشكل ضعفاً أو عيباً في فكر الباحث بل هو علامة القوة والمتانة، "... فاختلاف المناهج يحمل في ذاته دلالة قوية على قوة الفعالية والإصرار على النقد والتأويل". (كبسي، 1989 ، صفحة 146). في فكر الجابري، يرتبط المنهج بالمفهوم ارتباطاً وثيقاً فالمنهج عند الجابري يرتبط وظيفياً وإجرائياً إلى درجة أن اختيار المفاهيم وطريقة توظيفها يصبح في أحد أشكاله طريقة منهجية، غالباً ما يتحول المفهوم في مشروع الجابري إلى موضوع للفكر أو هو إشكالية فكرية ونرى ذلك خصوصاً في تناوله لمفهوم التراث والفكر والعقل. ويعد كتاب "نحن والتراث" للجابري نموذجاً منهجياً ذا البعد ثلاثة : قراءة بنيوية داخلية، وقراءة تاريخية، وقراءة إيديولوجية بغية تقسيم قراءة معاصرة للفلسفة الإسلامية مشرقاً ومغرباً، من خلال التركيز على بعض الفلاسفة مثل: الفرابي، ابن سينا وابن باجه وابن رشد و ابن خلدون، وقد استعار ووظف الجابري في كتابه هذا، في قراءة ودراسة التراث العربي الإسلامي مفهوم "القطيعة الإبستيمولوجية" الذي ورد لأول مرة عند الفيلسوف الفرنسي " غاستون باشلار" و قد استعمله في ميدان تاريخ العلوم وانتقل هذا المفهوم من مجاله الذي أنتج واستعمل فيه إلى ميدان العلوم الانسانية مع الفيلسوف الفرنسي أيضاً "لويس ألتوسير" في قراءته لفكر كارل ماركس. ولكن

مايعنيه الجابري " بالقطيعة الإبستمولوجية " هنا أنه " لابد من الإشارة أولاً إلى أن القطيعة الإبستمولوجية لا تتناول موضوع المعرفة، ولذلك فلا علاقة لها إطلاقاً بالطروحة الفاسدة المنادية بإلقاء التراث في المتاحف أو تركه "هناك"، في مكانه من التاريخ. إن رفض التراث بهذا الشكل الميكانيكي موقف لا علمي لا تاريخي، هو ذاته من رواسب الفكر التراثي في الإنحطاط، القطيعة الإبستمولوجية تتناول " الفعل العقلي " والفعل العقلي نشاط يتم بطريقة ما وبواسطة أدوات هي المفاهيم - وداخل حقل معرفي معين "(الجابري م.، 1982، 199، صفحة 24)، إن هذه القطيعة الإبستمولوجية يريد بها الجابري من أجل تجاوز السائدات من القراءات ومن أجل تحقيق قراءة موضوعية للتراث. على هذا الأساس ينظر الجابري إلى العقل العربي من منظور علمي معاصر إجرائياً، مستنداً إلى تقسيم الفرنسي "أندريه لالاند"، حيث انطلق الجابري في كتابه " نقد العقل العربي " من مقولات وثنائيات مسلم بها، معتبراً أن العقل العربي الذي تكوّن وتشكّل داخل الثقافة العربية الإسلامية، وعمل هذا العقل في ذات الوقت على إنتاجها، بحاجة إلى عملية نقد واسعة، دون أن يقدم تحديداً واضحاً لمفهوم العقل وفق مقتضيات البحث العلمي الفلسفي ثمّ يميز بين أقسام ثلاثة لهذا العقل : برهاني ، بياني و عرفاني وأقام فيما بينها تقابلات ميتافيزيقية في ثنائيات مثل: (عقل برهاني / عقل بياني)، و (عقل بياني/ عقل عرفاني)، توالد منها ثنائيات أخرى : (عقل سني /عقل شيعي)، و(عقل المغرب / عقل المشرق) وهذا يساير اختياره لثنائية أندريه لالاند: (العقل المكوّن/ العقل المكوّن) كنقطة انطلاق لنقده (كوش، 2002، صفحة 40) ولا شك أن مفهوم النقد يحضر هنا بكل حمولته الأنوارية (نسبة إلى فلسفة الأنوار) وتحديد المعنى الفلسفي الكانطي في مشروعه النقدي للعقل، الذي خصص له مؤلفات عديدة، منها: نقد العقل الخالص(1781)، ونقد العقل العملي(1788) ونقد ملكة

الحكم (1790). النقد في العادة بكونه أداة هدم وتقويض، وتغفل عنه جوانبه الإيجابية البناءة، غير أن كتاب الجابري "نقد العقل العربي" يعد أطروحة قوية، تهدم كثيراً من المسلمات، كما أنها تبني بغناها النظري رؤية جديدة في الكتابة عن تاريخ الفكر الإسلامي، وتسعى بذلك تأسيس مناطق نفوذ العقل الإسلامي في عصر التدوين. وقد ازداد مشروع نقد العقل العربي تعقيداً وغنى بصدور جزئه الثالث "العقل السياسي العربي" ويقدم الباحث في مدخل هذا الكتاب أهم المفاهيم التي فكر من خلالها وبواسطتها في العقل السياسي العربي، وعلى سبيل المثال يتحدث الجابري عن مفهوم المجال السياسي، مفهوم اللاشعور السياسي، ومفهوم المخيال الإجتماعي وهي مفاهيم مرجعيتها غربية.

فمفهوم اللاشعور السياسي يستعيره الجابري من كتاب المفكر الفرنسي "ريجيس دوبري" "نقد العقل السياسي"، والذي هو بدوره يستمد من مفهوم "اللاشعور" في الدراسات النفسية عند "فرويد"، و"اللاشعور الجمعي" عند "يونغ" وكذلك مفهوم "المخيال الاجتماعي" الذي هو الآخر استعاره من علم الاجتماع المعاصر، ليوظف هذه المفاهيم وغيرها بكثير من الاستقلالية، حيث يقول: "إن العقل السياسي كمارسة وكإيديولوجيا وهو في الحالتين ظاهرة جمعية، إنما يجد مرجعيته في المخيال الاجتماعي وليس في النظام المعرفي، النظام المعرفي يحكم الفعل المعرفي، أما المخيال الاجتماعي بما أنه منظومة من البدايات والمعايير والرموز، فهو ليس ميداناً لتحصيل المعرفة بل هو مجال لاكتساب القناعات، مجال تسود فيه حالة الإيمان والاعتقاد ... فإن المخيال الاجتماعي هو جملة من التصورات والرموز والدلالات والمعايير والقيم التي تعطي للإيديولوجيا السياسية، في فترة تاريخية ما، ولدى جماعة اجتماعية منظمة، بنيتها اللاشعورية" (الجابري م، 1990، صفحة 13)، وفي فصل لاحق يضيف مفهوم "الكتلة التاريخية"، وهو مفهوم استعمله "غرامشي"، ويوظفه الجابري في سياق تحليله لبعض مراحل التاريخ الإسلامي،

بالإضافة إلى مفاهيم أخرى مستمدة من التراث، مثل: القبيلة والغنيمة والعقيدة ويعتبرها المؤلف من ثوابت العقل السياسي العربي .

2. تبيئة المفاهيم عند الجابري:

1.2 الحقول المعرفية لدى الجابري:

تكتسي عملية نقل المفاهيم وتكييفها مع سياق جديد بعدا معرفيا صارما، وتعتبر عملية معقدة تتطلب وعياً نقدياً، وهي دائماً محفوفة بالصعوبات، إلا أن الجابري يدرك تلك الصعوبة ويتعامل تعاملًا واعياً ونقدياً مع المفاهيم والأدوات والأفكار، ينقلها ويوظفها بشكل إبداعي بعيداً عن أي تقليد أعمى، ويقول عن ذلك، "إذا استطعنا أن نربط هذه المفاهيم بمرجعيتنا أي أن تبيئتها في محيطنا وثقافتنا فإنها ستصبح ملكاً لنا تماماً يحصل عندما نبتكر نحن مفاهيم جديدة للتعبير عن جانب من جوانب واقعنا، وفي كلتا الحالتين يمارس المفكر هنا البحث بنوع من الاستقلال التاريخي" (الجابري م، 1991، صفحة 187)، فالجابري يشتغل بجملة من المفاهيم: الفعل المعرفي، الحقل المعرفي، والأزواج الإبستمولوجية، كما قسم العقل العربي إلى ثلاث حقول معرفية:

— **الحقل المعرفي البياني:** يعتمد على منهج العقلانية الدينية. تؤسسه العلوم المنتمية للموروث الثقافي العربي الخالص، هو نصوص القرآن والحديث واللغة.

— **الحقل المعرفي العرفاني:** له منهج في التفكير لاعتقالي، وهو مستمد من الفكر اليوناني وخصوصاً من التيار المسمى بالهرمسية، ويمثله في الثقافة العربية التصوف

– **الحقل المعرفي البرهاني:** يعتمد كمنهج على العقلانية الفلسفية،

وتمثله الفلسفة العربية الإسلامية التي استمدت منهجها من منطق

أرسطو، وعاش طورين من التطور:

أ. طور التكوين: التداخل التكويني الذي عاشت فيه الحقول ذروة

التفاعلات

ب. طور الأزمة: انطلقت مع مطلع الخامس الهجري، وتوسعت فيه

ظاهرة التداخل والمعالجة بين البيان والعرفان.

يؤكد الجابري تركيزه على إبستمولوجيا التفكير العربي، التي ينتقدها من خلال التحليل التاريخي. ويصنف نظرية المعرفة الثقافية العربية إلى ثلاثة أنواع: البياني والعرفاني والبرهاني، ويجادل بأن هذه الأطر قد استخدمت أكثر للدفاع الأيديولوجي بدلاً من السعي وراء الحقيقة، وبالتالي إعاقة التقدم العقلاني بحجة أن هذه المفاهيم ساهمت في تراجع الفكر العربي. ويؤكد أن هذه المقاربات المعرفية اعتمدت تاريخياً على النماذج السابقة، مما يحد من القدرة على التعامل مع الواقع المعاصر والحدثة، بالإضافة إلى ذلك، انتقد عدم وجود منظور إنساني شامل والفسل في تحليل الاحتياجات ومع ذلك، فإنه يؤكد نقده لـ "اللاعقلانية" وتعزيز العقلانية في الفكر الإسلامي. ويدعو الجابري إلى اتباع نهج عقلاني للتعاليم الإسلامية، مما يشير إلى أن المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الجامدة قد تعيق الفهم الصحيح للتراث، وتهدف نماذجه المعرفية - البياني والبرهاني والعرفاني - إلى معالجة هذه التحديات في وضع النصوص الدينية في سياقها.

2.2 مشروع الجابري نقد العقل العربي من أجل النهضة:

ما يستهدفه الجابري بمشروعه " نقد العقل العربي " هو تحرير الفكر العربي من قيود الماضي، بما في ذلك التصوف الذي يعتبره أحد مكونات هذا العقل، وذلك لغاية نهضوية كما يراها الجابري، باعتبار مشروعه هو مشروع هادف ذو قضية وذو موضوع.

وأما موضوعه: فهو نقد العقل العربي "بمراجعة شاملة" لآلياته ومفاهيمه وتصوراتهِ " (الجابري م.، يناير، 1988، صفحة 05)

وأما قضيته: "إن قضيتنا التي تنحاز إليها هي العقلانية" (الجابري م.، يناير، 1988، صفحة 07)

وأما هدفه: "مشروعنا هادف إذن فنحن لا نمارس النقد من أجل النقد بل من أجل التحرر مما هو ميت ومتخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي لفسح المجال للحياة كي تستأنف فينا دورتها وتعيد فينا زرعها " (الجابري م.، يناير، 1988، صفحة 141)

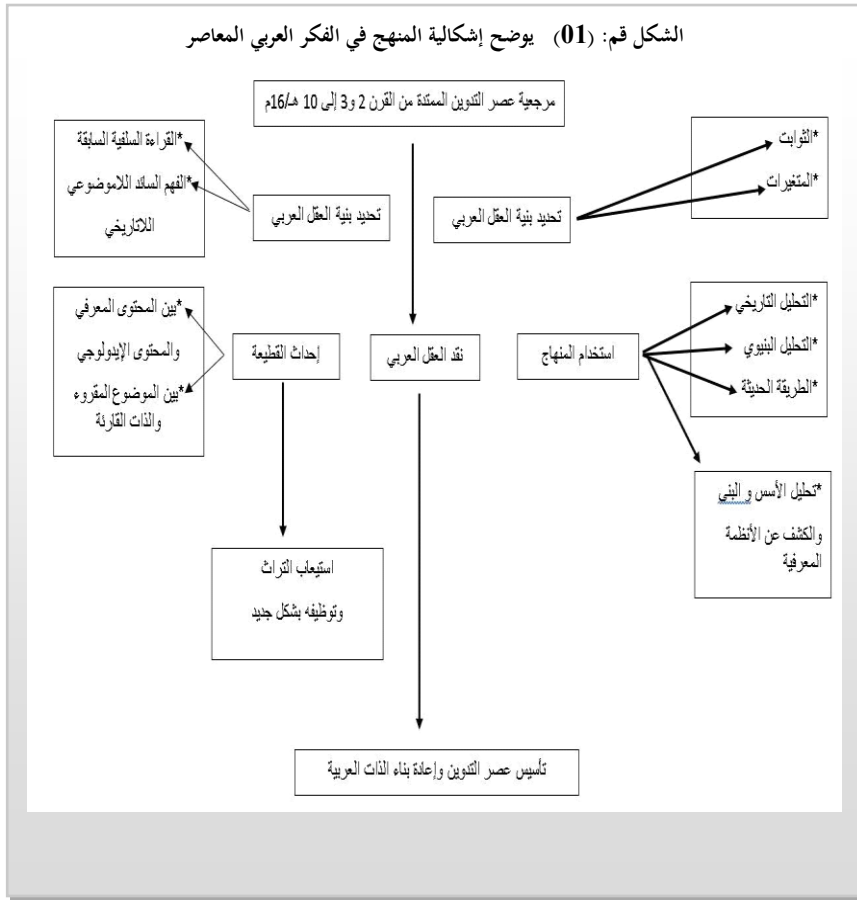
فالمشروع كله إذن يتمحور حول ثلاث مهام قاسمها المشترك: " العقل " وهي:

1. نقد العقل العربي

2. العقلانية التجريبية " زرع العقل الحداثي الغربي "

3. التحرر من العقل اللاعقلاني

لذلك فقد عمد الجابري إلى انتهاج بيداغوجية تدريجية بدأها " بترجمة كلمة عقل بعبارة فكر بوصفه أداة للتفكير " (الجابري م.، يناير 1988، صفحة 15) لأن هذه الترجمة ستصبح مطابقة الفكر للعقل والعقل للفكر. وعليه فإن ماهية الأداة التي اعتمدها الجابري لنقد العقل العربي "عقل الأنا"، ليست في تسميتها عقلا أو فكرا، بل هي في



فاعليتها في النقد وفي الحظر وفي قدرة مناهجها وجهازها المفاهيمي وفي إجرائيتها أي ما به قوام هذه الفاعلية. وهذه النتيجة سمحت للجابري بالرجوع إلى أرشيف الفكر الأوروبي

3. الشكل التخطيطي للمفاهيم عند محمد عابد الجابري:

1.3 مستويات القراءة عند الجابري:

نوضح من خلال الشكل 1 كيف الدكتور " محمد عابد الجابري " ومن خلال دراساته يقر بحقيقة مفادها أن التراث لن يكف عن لعب دور المعرقل لهضة عربية مبتغاة لكنها لم تتحقق؛ هذا التراث الذي يحضر في فكرنا العربي المعاصر كفكر الماضي، لا يكتفي بهذا الحضور، بل يفرض سيطرته على حاضرنأ، ويعتبر الجابري أن إشكالية المنهج في الفكر العربي المعاصر تتمحور حول كيفية التخلص من هذه السيطرة، أي كيف يمكن لذاتنا

العربية المعاصرة، التي تقرأ التراث وتخضع له، أن تتحرر من تأثير الماضي وتشق طريقها نحو المستقبل. فهو يرى أن مشكلة المنهج ستصبح بالنسبة للفكر العربي المعاصر مشكلة الطريقة التي يتحرى بواسطتها إنهاء سيطرة فكر الماضي - الموضوع - على فكر الحاضر منظور إليه كذات عربية معاصرة قارئة للتراث وخاضعة له.

وذلك لن يكون إلا عن طريق الفصل التام بينهما، ونوعية القراءة القادرة على إنجاز ذلك الهدف لن تكون بالتأكيد قراءة إيديولوجية له بل قراءة تتم من موقع الاختلاف عن المقروء قراءة تتصف بأنها قراءة موضوعية، لذلك نجد الجابري يحرص على تقديم مسألة الموضوعية على أنها الخطوة الأهم في منهجه المقترح حيث يعرض لها على:

لـ مستوى العلاقة الذاتية من الذات إلى الموضوع.

لـ مستوى العلاقة الذاتية - العائدة - من الموضوع إلى الذات

(الجابري، 1986، صفحة 06)

قراءة الجابري ليست قراءة التراث من أجل كل التراث فقط، بل هو يقوم بقراءة التراث أيضاً هرباً من عملية التأويل، حيث يلجأ إلى تفسير نص تراثي بنص تراثي آخر، بقصد منع تأثير الباحث المعاصر على بنية النص المدروس، وحتى تتوفر للباحث المعاصر شروط القراءة الموضوعية للتراث كما يريد الجابري فهو يقترح علينا ثلاث مستويات من الناحية العلمية أو الإجرائية يستطيع أن يلجأ إليها الباحث عند معالجته للنص التراثي (الجابري، دراسة في مجلة المستقبل العربي، صفحة 06-07):

-الخطوة الأولى: المعالجة البنيوية:

وتعني الإنطلاق في قراءة التراث من النصوص والانتهاج بها أي أخذ هذه النصوص كما هي معطاة لنا تاريخياً، وهذه الخطوة تجسد المستوى الأول والأساسي من مستويات القراءة الموضوعية للنص كما أرادها الجابري. تبدأ قراءة التراث بالتعامل المباشر مع النصوص التاريخية كما هي، دون تدخل أو تأويل، وتركز على فهم النص في سياقه الخاص، ومع ذلك، يثير هذا المنهج تساؤلاً: إذا كان الجابري يدعو إلى عزل النص عن تأثير القارئ الحديث، فكيف يمكن عزل النص عن تأثير مؤلفه الأصلي الذي يحمل أيضاً أيديولوجيا عصره؟

يرى الجابري أن مفهوم القطيعة مع التراث، والتي تأتي كنتيجة للقراءة الموضوعية، تمثل لحظة حاسمة في الفكر العربي المعاصر. هذه القطيعة الإستيمولوجية تعني نهاية هيمنة الماضي على حاضرن الفكري، وبداية مرحلة جديدة من التفكير النقدي، وحدوث القطيعة الإستيمولوجية في الفكر العربي المعاصر سيكون إيذاناً بإنهاء سيطرة فكر الماضي (التراث) على فكرنا المعاصر.

-الخطوة الثانية: التحليل التاريخي للنص:

يقول الجابري حول هذه الخطوة "ويتعلق الأمر بربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه حيث المعالجة البنيوية، ربطه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والإجتماعية" (الجابري، 1982 ، 1993 ، صفحة 24). يعتمد الجابري في تحليله للنصوص على افتراض إمكانية فصل الواقع الاجتماعي التاريخي للنص عن تاريخ المادة المعرفية التي يحملها، بمعنى آخر، يرى الجابري أن النص يمكن أن يُفهم بمعزل عن الظروف الاجتماعية والتاريخية التي أنتج فيها، وذلك حين أقر إمكانية الفصل بين المادة المعرفية

لنص وبين مضمونه الإيديولوجي، ليس على المستوى الإجرائي فقط بل والتاريخي الفعلي أيضاً، ويرى مفكرنا أن الربط المذكور في بداية شرح هذه الخطوة هو ربط ضروري ليس فقط باكتساب فهم تاريخي للفكر المدروس بل لإختيار صحة النموذج البنيوي الذي قدمه لنا بمعنى تحقيق الإمكان التاريخي.

-الخطوة الثالثة: المعالجة الإيديولوجية:

وتكون وظيفتها " ... الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية والاجتماعية والسياسية التي أداها الفكر المعني أو كان يطمح إلى أدائها داخل الحقل المعرفي العام الذي ينتهي إليه ... " (الجابري م.، 1982 ، 1993، صفحة24)، فبالنسبة للجابري الكشف عن مضمون الإيديولوجية التي اضطلع بها الفكر، أو سعى إلى تحقيقها، ضمن الحقل المعرفي الذي ينتهي إليه هو السبيل الوحيد لجعل هذا الفكر معاصراً ومرتبطاً بواقعنا الحالي.

2.3 الأداة النقدية التي استعارها الجابري من الثقافة الغربية:

الأداة النقدية التي استعارها الجابري من الثقافة الغربية، والتي قد تبدو للبعض أنها تستخدم لإنهاء الماضي، هي في الواقع أداة للكشف عن هذا الماضي وإعادة فهمه. هذه الأداة، التي تشبه إلى حد كبير "المنهج الحفري" لميشيل فوكو، تستخدم للحفر والتنقيب عن الأفكار والمفاهيم المدفونة في التراث، بهدف إعادة إحيائها وإظهارها للنور، ومن ثم إعادة الوعي بها من جديد. ويتضح إعتقاد الجابري بالمنهج الفوكوي من خلال الجدول 1.

الجدول 1: يوضح المنهج الفوكوي المعتمد لدى الجابري

ثلاث مراحل/ فوكو	الجابري: بنية وتكوين العقل العربي	الجابري: العقل السياسي
التماثل	البيان	القبيلة
التشابه	العرفان	العقيدة
الإنسان	البرهان	الغنيمة

-البيان: يفسر الجابري أن الرؤية البيانية للعالم، التي تقوم على الانفصال ونفي السببية، تعود جذورها إلى الطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية والتكوين الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي. ويكشف الجابري عن تأثير العلاقة القبلية، التي تتكون من أفراد متفردين تجمعهم القبيلة، في تشكيل هذه الرؤية البيانية.

-العرفان: يرى الجابري أن علوم العرفان في التراث العربي لم تخرج عن الإطار العام للموروث العرفاني الذي سبق الإسلام، وبالتالي لم تقدم إضافات جديدة أو رؤى مبتكرة للمعرفة، وأن العرفان في جانب منه هو "موقف من العالم نفسي وفكري ووجود يشمل الحياة والسلوك والمصير، ويتسم بالقلق والانزواء والهروب من العالم والتشكي من وضعية الإنسان فيه وبالتالي تضخيم الفردية والذاتية، أي تضخيم (الأنا) العارف" (الجابري م. 1988، صفحة 254، 255)

-البرهان: يستخدم الجابري مفهوم "البرهان" للإشارة إلى نظام معرفي يتميز بمنهج تفكير خاص ورؤية محددة للعالم، تعتمد على العقل والمنطق ولا تعتمد على أي سلطة معرفية أخرى. وقد احتل هذا النظام المعرفي مكانة هامة في الثقافة العربية الإسلامية خلال العصور الوسطى، إلى جانب النظام البياني والنظام العرفاني "البيان كفعل معرفي ظهور وإظهار وفهم وإفهام والعرفان كشف وعيان، والبرهان كفعل معرفي استدلال واستنتاج. البيان كحقل معرفي عالم المعرفة المستمدة من اللغة، والعرفان الحقل معرفي خليط من هواجس وعقائد وأساطير، والبرهان كحقل معرفي في فلسفة علمية ناشئة من الترجمة" (الجابري م.، 1988، صفحة 441، 442)

ولاستكمال الصورة حول العلاقة بين الفكر والواقع يعرض الجابري إحالة على نظرية "ميشيل فوكو" حول مفهوم "الراعي والرعية" وفي النهاية يرى الجابري أن العودة لابن خلدون تفيدنا في فهم الواقع، حيث أنه قدم ثلاثة مفاتيح في السلوك العشائري، التطرف الديني، والاقتصاد الريعي، وظفها في قراءته للتجربة الحضارية العربية الإسلامية

في عهده، وتوظيفها توظيفاً جديداً يستجيب لمشاغلتنا الفكرية المعاصرة، وهذه المفاتيح أو المحددات هي: القبيلة، الغنيمة، العقيدة، فهي محددات حكمت العقل السياسي العربي في الماضي ومازالت تحكمه بصورة أو بأخرى في الحاضر والنتيجة إحباطات و نكسات فتحت الباب لعودة المكبوت، فأصبحت القبيلة محركاً للسياسة، و"الريح"(الغنيمة) جوهر الإقتصاد، والعقيدة دافعا للفعل وتبريرا للقمع.

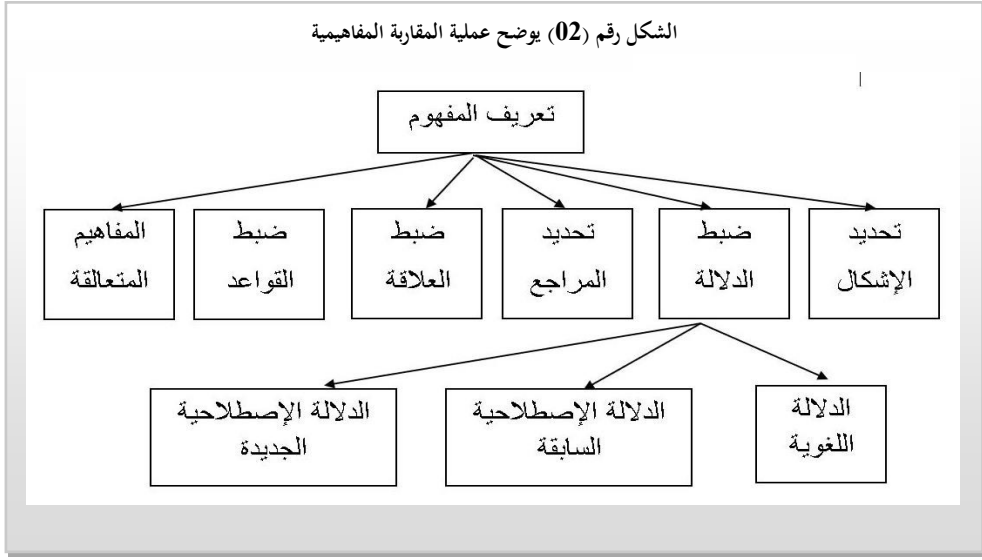
4. الخاتمة:

من بين أهم ما يمكن استخلاصه مما سبق، التمييز بين مرحلتين أساسيتين في تشكيل المفاهيم: مرحلة تكوين حقل المفاهيم، ومرحلة تكوين "المعنى العام". ففي المرحلة الأولى، نجد أنفسنا أمام مجموعة من "المصطلحات" التي تسبق عملية بناء المذهب أو النظرية الفلسفية. هذه المصطلحات تتسم بطابعها الاجتماعي العفوي المتداول، وبغض النظر عن مجالها السابق، فهي بالنسبة للفيلسوف أو الباحث مجرد كلمات لغوية لم يتم تصنيفها أو إدراجها ضمن سياق خاص. إلا أنه، ومنهجياً، من الضروري التعرف على الدلالات السابقة للمفهوم، أي دلالة المعنى العام أو المتداول على المستوى القاعدي. وذلك حتى نتمكن من تلمس الفرق بين لحظة إدماج هذه المصطلحات في سياق فلسفي جديد أو حقل معرفي آخر، وبين مجالها التداولي السابق. بمعنى آخر، يجب أن نفهم كيف كانت تستخدم هذه الكلمات في الحياة اليومية أو في مجالات أخرى قبل أن يتم "تخصيصها" واستخدامها في مجال الفلسفة أو حقل معرفي معين.

هذا التمييز يساعدنا على فهم كيف تتطور المفاهيم وتكتسب معاني جديدة أو محددة عندما يتم استخدامها في سياقات مختلفة. فالمفهوم الذي كان يحمل معنى عاماً في الاستخدام اليومي قد يصبح له معنى أكثر دقة وتخصصاً عندما يتم استخدامه في مجال الفلسفة أو العلوم.

ويمكن القول أن الحركة التنويرية العربية الحديثة التي تبناها مفكرو النهضة العربية، والتي كانت مستمدة من مواصفات وخصائص التنوير الذي تأسس في الفكر الغربي في القرن 18، والتي كانت تسعى إلى هدف واحد، وهو إيجاد طرائق ووسائل لتحقيق الإصلاح بالمعنى العام، ولا سيما على مستوى الذات ووعيمها، خاصة وأن التنوير يعني على مستوى الكتابة والفكر تغيير أساليب الكتابة من الوصف والسردي إلى التحليل والتفكيك والتفسير والنقد، ولا شك هذا ما لمسناه عند المفكر "محمد عابد الجابري".

فالخطاب الفكري العربي المعاصر من خلال النموذج المغربي "الجابري" استطاع أن ينتقل بالإشكالية الفكرية العربية إلى آفاق وفضاءات نقدية جديدة، إنتقال من الإيديولوجيات إلى الفلسفة والفكر النقدي، وهو إنتقال للمفاهيم بعد تمحيصها ونقدها بوعي أداتي ومنهجي، نلمسه في مشروع "الجابري" من خلال إعلائه من شأن التوجه العقلاني النقدي في مقارنة الظاهرة التراثية، مما ساهم في تأسيس جدل عقلاني حول الذات والتراث، ورفع التصور الذاتي المطمئن إلى سقف عقائدي غير مطابق لمتطلبات الحاضر والمستقبل، كما يعترف الجابري أن المنهج الذي اعتمده في قراءته المقترحة للتراث مشكل من ثلاث عمليات وهي : المعالجة البنيوية والتحليل التاريخي والطرح الإيديولوجي وهي عمليات متنافرة في العادة إلا أنه أجبر على هذا الإختيار في معالجة موضوعه، و المنهج عند الجابري هو نفسه المفاهيم والأدوات الإجرائية التي استعملها ووظفها الباحث في ممارسته الفكرية النقدية، فمن خلال عنواني الكتاب الأول "تكوين العقل العربي" والكتاب الثاني " بنية العقل العربي " نلاحظ أن الكاتب إختار منهجيا المعالجة التكوينية في الأول ثم البنيوية في الثاني، ولابد من الملاحظة أن الجابري يوظف المفاهيم في أبحاثه ضمن ما يسميه بالملائمة و المناسبة أو الإيفاء بالغرض حتى يكتمل تعرفنا على الجهاز المفاهيمي الذي يعتمده، وتفهمنا كيفية إستغلال المفاهيم وإنتقالها من حقلها التداولي إلى حقل ثقافي مغاير وهو الثقافة العربية الإسلامية.



يُعتبر التفكير في اللغة مدخلاً أساسياً للتفكير في الإنسان والعالم. فالوجود، يحمله من معنى، لا يقتصر على مجرد أشياء مادية صماء، بل يتجسد في اللغة التي تحمل أسماءاً ودلالات. وكما يقول عالم اللسانيات لويس يمسليف (LOUIS HJELMSLMV): "العالم الذي يحيط بنا هو نفسه محتوى اللغة" (Hejelslev، 1966). فالفلسفة، في جوهرها، هي تفكير في المفاهيم ومن خلالها. ومقاربة أي مفهوم داخل نص فلسفي تتطلب استحضاره ضمن شبكة مفاهيمية متكاملة، لأن المفهوم لا يرد منعزلاً، كما لو كان في قاموس أو معجم. بل إن بعض القواميس تحرص على الإشارة إلى المفاهيم الأخرى المرتبطة به، والتي من الضروري استحضارها لفهمه وتحديدده بشكل أدق وأسهل.

ومن خلال استكشاف هذا الموضوع يمكننا الوصول إلى جملة من الأجوبة على الأسئلة الثلاثة المطروحة في بداية المقال لتعزز فهمنا لهذه الديناميكيات:

أولاً: لقد تجلّت إشكالية المفهوم العربي الإسلامي القديم في السياق المعاصر كعائق إبستمولوجي جوهري، محوّل ثراءه المعرفي والتاريخي إلى عبء يعيق الفهم والتطبيق. فما كان بالأمس تنوعاً ثرياً للقراءات، يعكس سعة اللغة وعمق الخطاب الفكري، غدا اليوم منبعاً للتأويلات غير المتسقة التي تحبس المفهوم في متاهات التنازع

الفكري والأديولوجي. إنّ انفصال المنهج النقدي عن التعامل مع التراث، وجمود العقل في مواجهة الدينامية المعرفية الحديثة، أسهما في تحويل هذه المفاهيم من ضوء إرشادي إلى جدارٍ صلبٍ يفصلنا عن استيعابِ الواقع المعاصر وتحدياته. وهكذا يصبح المفهوم متورطاً في سياقات تاريخية لم تُعد قائمة، عاجزاً عن توليد رؤى جديدة تلامس جوهر الإنسان المعاصر وتطلعاته، ومكرّساً بذلك انفصالاً مؤلماً بين أصالة مثالية وواقع معاصر مهممل.

ثانياً: يعدّ عدم استيعاب المفاهيم المنتمية إلى الفكر الغربي المعاصر في السياق العربي، وما يتبعه من تعميق للهوة بين التصورين، إشكالية تتجاوز الجانب المعرفي البحت، لتصبح ظاهرة متشعبة الأبعاد. تتداخل فيها عوامل تاريخية، ثقافية، دينية، سياسية، واجتماعية. حيث تطور الفكر الغربي المعاصر نتيجة لسيرورات تاريخية فريدة، مثل عصر التنوير، الثورات الصناعية والعلمية، وحركات الإصلاح الديني التي أدت إلى فصل الدين عن الدولة في كثير من السياقات. هذه التطورات صاغت مفاهيم مثل العقلانية، العلمانية، الفردانية، والديمقراطية في سياق غربي خاص. كما أن كل حضارة تتميز بأنظمة معرفة وقيم خاصة، ومحاولة استنساخ الحداثة الغربية أو مفاهيمها دون مراعاة هذه الخصوصية، أو دون تكييفها مع الواقع العربي، قد يؤدي إلى سوء فهم ورفض. علاوة على ذلك مشكلة النقد غير النقدي والمحاكاة السطحية، إذ غالباً ما تم استيراد المفاهيم الغربية إلى الفكر العربي دون عملية هضم أو تمحيص نقدي مدروس، وتم تبنيها كقوالب جاهزة. حتى عند ترجمة المفاهيم، قد لا يكون المصطلح العربي قادراً على استيعاب الثراء الدلالي والتاريخي للمصطلح الغربي الأصلي، وبالتالي عرقلة التعامل مع التعقيدات الكامنة في هذه المفاهيم.

ثالثاً: ولكن وعلى الرغم مما يتسم به عدم استيعاب المفاهيم الغربية المعاصرة في الفكر العربي بتعقيد كبير، إلا أنه من الممكن تماماً صياغة مفهوم نابع من مرجعيتنا داخل فضاء فكري تسيطر عليه المرجعيات المعرفية الغربية، ليس ترفاً فكرياً، بل ضرورة حضارية. الأمر يتطلب وعياً نقدياً، واجتهاداً فكرياً، فالمفاهيم الأصيلة لا تصنع في فراغ، بل تتطلب منهجية اجتهادية تسمح باستنباط الحلول والأفكار من الأصول، ولكن بطريقة مبتكرة تتجاوز التفسيرات التقليدية وتستجيب للتحديات الراهنة. هذا لا تعني الانغلاق أو

العزلة عن الفكر الغربي، بل الاستفادة من إنجازاته في مجالات مثل العلوم، الفلسفة، التنظيم السياسي والاجتماعي، مع عدم التماهي الكلي معه. يمكننا استيعاب الأدوات المنهجية أو التحليلية الغربية، ولكن استخدامها في سياق مرجعيتنا الخاصة. إنها عملية تُسهم في إثراء المعرفة الإنسانية، وتُعزز هويتنا، وتُمكننا من المساهمة بفاعلية في صياغة مستقبلنا بدلاً من مجرد استهلاك ما يُنتجه الآخرون.

5. قائمة المراجع:

Bibliographie

- Hejlslev, L. (1966). *de Langage*. Trad. Michel Olsen: Gallimard .
بيروت . لبنان، الدار . نحن و التراث — قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي . (، 19821993) . الجابري، م. ع .
البيضاء ، المغرب : الطبعة الثانية ، دار الطليعة و المركز الثقافي العربي .
مجلة المستقبل العربي ، العدد 83 . دراسة في مجلة المستقبل العربي . (1986) . الجابري، م. ع .
بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية .بنية العقل العربي .(1988) . الجابري، م. ع .
بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة .تكوين العقل العربي .(يناير 1988) . الجابري، م. ع .
الثالثة .
بيروت . لبنان، الدار . نحن و التراث — قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي . (، 19821993) . الجابري، م. ع .
البيضاء ، المغرب : الطبعة الثانية ، دار الطليعة و المركز الثقافي العربي .
الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي :الدار البيضاء ،المغرب . العقل السياسي العربي .(1990) . الجابري، م. ع .
بيروت، لبنان ، الدار البيضاء، المغرب . التراث و الحداثة — دراسات و مناقشات .(1991) . الجابري، م. ع .
المركز الثقافي العربي .
مجلة المستقبل العربي .دراسة في مجلة المستقبل العربي .(العدد83) . الجابري، م. ع .
تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، الطبعة .قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر .(1989) .علي، ك. م .
الأولى .
الدار البيضاء ،المغرب : الطبعة الأولى ، .أقلمة المفاهيم — تحولات المفهوم في ارتحاله .(2002) .كوش، ع .
المركز الثقافي العربي .